

ذكر أيام العرب في الجاهلية

لم يذكر أبو جعفر من أيامها غير يوم ذي قار، وجذيمة الأبرش، والزباء، وطسم، وجديس/، وما ذكر ذلك إلا حيث أنهم ملوك، فأغفل ما سوى ذلك. ونحن ^ج_{ط/٢٩٨} نذكر الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد، ولم أعرج على ذكر غارات تشمل على النفر اليسير؛ لأنه يكثر ويخرج عن الحصر، فنقول وبالله التوفيق.

ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاة، وكان يدعى: الكاهن لصحة رأيه، وعاش مائتين وخمسين سنة، أوقع فيها مائتي وقعة، وقيل: عاش أربعمائة وخمسين سنة، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة.

وكان سبب غزاته غطفان: أن بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداة، وهي قبيلة من مذحج، فقاتلوهم، وبنو بغيض سائرون بأهليهم وأموالهم، فقاتلوهم عن حريمهم، فظهروا على صداة وفتكوا فيهم، فعزت بغيض بذلك، وأثرت وكثرت أموالها، فلما رأوا ذلك قالوا، والله لنتخذن حرمًا مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائده، فبنوا/ حرمًا ووليه بنو مرة بن عوف، ^ج_{أ/٧٣} (فلما بلغ^١) فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب، قال: والله لا يكون ذلك أبدًا وأنا حي، ولا أخلي غطفان تتخذ حرمًا أبدًا، فنادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم، وقال: إن أعظم مآثرة يدخرها هو وقومه أن يمنعوه من ذلك، فأجابوه، فغزا بهم غطفان وقاتلهم أبرح قتالٍ وأشدّه، وظفر بهم زهير، وأصاب حاجته منهم، وأخذ فارساً منهم في

(1-1) في المخطوطة: فبلغ.

حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم، [ثم من] على غطفان، ورد النساء وأخذ الأموال، وقال زهير في ذلك:

فلم تصبر لنا غطفان لما	تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتن	إلى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديوناً فاطلبوها	وأوتاراً ودونكم اللقاء
فإننا حيث لا يخفى عليكم	ليوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحي بني جناب	فضاء الأرض والماء الرّواء
نفينا نخوة الأعداء عنا	بأرماح أسننثها ظمء
ولولا صبرنا يوم التقينا	لقينا مثل ما لقيت صدء
غداة تضرعوا لبني بغيض	وصدق الطعن للثؤكى شفاء/

ج
٢٩٩/ط

وأما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل، فكان سببها: أن أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير، فأكرمه وفضله على من أتاه من العرب، ثم أمره على بكر وتغلب ابني وائل، فوليهم حتى أصابتهم سنة، فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج، فأقام بهم زهير في الحرب، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابن زبابة أحد [بني] تيم الله بن ثعلبة، وكان فاتكاً، أتى زهيراً وهو نائم، فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير، فمر فيها حتى خرج من ظهره مارقاً^(١) بين الصفاق، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه، وظن التيمي أنه قد قتله، وعلم زهير أنه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه، فسكت. فانصرف التيمي إلى قومه، فأعلمهم أنه قتل زهيراً، فسرههم ذلك، ولم يكن مع زهير إلا نفرًا من قومه، فأمرهم أن يظهروا أنه ميت، وأن يستأذنوا بكرًا وتغلب في دفنه، فإذا أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة، وساروا به مجدين إلى قومهم، ففعلوا ذلك، فأذنت لهم بكر وتغلب في دفنه، فحفروا وعمقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشك من رآها أن فيها ميتاً، ثم ساروا مجدين إلى قومهم، فجمع لهم زهير الجموع، وبلغهم الخبر، فقال ابن زبابة:

طعنة ما طعنت في غبش اللي	ل زهيراً وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكر	أين بكر وأين منها الحلوم؟
خانني السيف إذ طعنت زهيراً	وهو سيف مزلزل مشؤوم

(١) مارقاً: ماراً.

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن، وغزا بكرةً وتغلب، وكانوا علموا به، فقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت [به بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت] أيضاً، وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة، وأخذت الأموال وكثرت القتلى في بني تغلب، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير في ذلك من قصيدة:

أين أين الفرار من حذر المو
إذ أسرنا مهلهلاً وأخاه
وسبينا من تغلب كل بيضا
حين يدعو مهلهلاً يا لبكر
ويحكم ويحكم أبيح حماكم
وهم هاربون في كل فج
واستدارت رحي المنايا عليهم
فَهُمْ بين هاربٍ ليس يألوا
فضل العزنا حين نسمو

ت إذ يستقون بالأسلاب؟
وابن عمرو في القيد وابن شهاب
ء رقود الضحى برود الرضاب
ها أهذي حفيظة الأحساب
يا بني تغلب أنا ابن رضاب
كشريد النعام فوق الروابي
بليوث من عامرٍ وجناب/
وقتيل معفرٍ في التراب
مثل فضل السماء فوق السحاب

ج
٣٠٠/ط

وأما حربه مع بني القين بن جسر فكان^(١) سببها: أن أختاً لزهير كانت متزوجة فيهم، فجاء رسولها إلى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوكة قتاد، فقال زهير: إنها تخبركم أنه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة، فاحتملوا. فقال الجلاح بن عوف السحمي: لا نحتمل لقول امرأة، فظعن زهير وأقام الجلاح، وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح، وذهبوا بأموالهم وماله، ومضى زهير، فاجتمع مع عشيرته من بني جناب، وبلغ الجيش خبره فقصده، فقاتلهم وصبر لهم، فهزمهم، وقتل رئيسهم، فانصرفوا عنه خائبين^(١).

ولما طال عمر زهير وكبر سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم، فقال زهير يوماً: ألا إن الحيّ ظاعنٌ، فقال عبد الله: ألا إن الحيّ مقيمٌ، فقال زهير: من هذا المخالف عليّ؟ فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عليم، فقال: أعدى الناس للمرء ابن أخيه، ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات^(٢).

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٩/٢٤، ٢٥).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٩/٢٤).

(١) في المخطوطة: وكان.

[وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات]: عمرو بن كلثوم التغلبي، وأبو عامر ملاعب

ج ١
الأسنة/ العامري.
ب/٧٣

ذكر يوم البردان

فكان من حديثه أن زياد بن الهبولة^(١) ملك الشام، وكان من سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. أغار على حجر بن عمرو [بن معاوية بن الحارث] الكندي ملك عرب^(٢) بنجد ونواحي العراق، وهو يلقب: آكل المُرار، وكان حجر قد أغار في كندة وربيعة على البحرين، فبلغ زياداً خبرهم، فسار إلى أهل حجر وربيعة وأمواهم وهم خلوف، ورجالهم في غزاتهم المذكورة، فأخذ الحريم، والأموال، وسبى منهم هنداً^(٢) بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد، فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهبولة، ومع حجر أشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان. [وعمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان] وغيرهما، فأدركوا عمراً بالبردان^(٢) دون عين أباغ وقد أمن الطلب، فنزل حجر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء، يقال له: حفير، فتعجل عوف بن محلم وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالوا لحجر: إنا متعجلان إلى زياد، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا، فسارا إليه، وكان بينه وبين عوف إخاء، فدخل عليه، وقال له: يا خير الفتيان اردد عليّ امرأتي أمانة. فردها عليه وهي حامل، فولدت له بنتاً أراد عوف أن يئدها فاستوهبها منه/ عمرو بن أبي ربيعة وقال: لعلها تلد أناساً فسميت: أمّ أناس، فتزوجها الحارث بن عمرو ابن حجر آكل المرار، فولدت عمراً، ويعرف: بابن أمّ أناس.

ج
٣/٣٠١

ثم إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد: يا خيرَ الفتيان اردد عليّ ما أخذت من إبلي، فردها عليه وفيها فحلها، فنازعه الفحل إلى الإبل، فصرعه عمرو، فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم! فقال له عمرو: لقد أعطيت قليلاً، وسميت جليلاً، وجررت على نفسك وياً طويلاً! ولتجدن منه، ولا والله لا تبرح حتى أروي سناني من دمك! ثم ركض فرسه حتى صار^(٣) إلى حجر، فلم يوضح له الخبر،

(١) ذكره المفضل في «تاريخ العرب» (٣/٣٢٠)، وانظر: ابن دريد (٢/٣١٩).

(٢) البردان: جبل قرب مكة.

(٣) في المخطوطة: سار.

(١) في المخطوطة: عرب الشام.

(٢) في المخطوطة: بنت.

فأرسل سدوس بن شيبان بن ذهل و صليح بن عبد غنم يتجسسان له الخبر، ويعلمان علم العسكر، فخرجا حتى هجما على عسكره ليلاً وقد قسم الغنيمة، وجيء بالشمع، فأطعم الناس تمرأ وسمناً، فلما أكل الناس نادى: من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر.

فجاء سدوس و صليح بحطب، وأخذا قدرتين من تمر، وجلسا قريباً من قبته. ثم انصرف صليح إلى حجر، فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر، وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتية بأمر جلي. وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون، وهند امرأة حجر خلف زياد، فقالت لزياد: إن هذا التمر أهدي إلي حجر من هجر، والسمن من دومة الجندل، ثم تفرق أصحاب زياد عنه، فضرب سدوس يده إلى جليس له، وقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكره الرجل، فقال: أنا فلان بن فلان. ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه؛ ودنا زياد من امرأة حجر، فقبلها وداعبها. وقال لها: ما ظنك الآن بحجر؟ فقالت: ما هو ظن ولكنه يقين، إنه والله لن يدع طلبك حتى تعين القصور الحمر، يعني: قصور الشام، وكأني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه، وهو شديد الكلب، تزيد شفتاه كأنه يعير أكل مراراً، فالنجاء فالنجاء! فإن وراءك طالباً حثيثاً، وجمعاً كثيفاً، وكيداً متيناً، ورأياً صليباً.

فرفع يده فلطمها، ثم قال لها: ما قلت هذا إلا من عجبك به وحبك له! فقالت: والله ما أبغضت أحداً بغضي له، ولا رأيت رجلاً أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظاً!، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عساً من لبن، فبينما هو ذات ليلة نائم، وأنا قريب منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه [فنحى رأسه]، فمال إلى يده فقبضها فمال إلى رجله فقبضها، فمال إلى العس فشربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه. فانتبه من نومه فقال: عليّ بالإناء، فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق، فقال: أين ذهب/ الأسود؟ فقلت: ما رأيته، فقال: كذبت والله! ^ج _{٣٠٢/ط}

أتاك المرجفون بأمر غيبٍ على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد أتاك بأمر لبسٍ فقد آتني بأمرٍ مستبين

ثم قص عليه ما سمع، فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً وأسفاً، ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب، فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار، فسُمي يومئذٍ: أكل المرار^(١).

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٧٨/٩).

والمرار: نبت شديد المرارة لا تأكله دابة إلا قتلها، ثم أمر حجر فنودي في الناس، وركب، وسار إلى زياد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم زياد وأهل الشام، وقتلوا قتلاً ذريعاً، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي، وعرف سدوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيراً، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حسده، فطعن زياداً فقتله. فغضب سدوس، وقال: قتلت أسيري وديته دية ملك، فتحاكما إلى حجر، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله، وأخذ حجر زوجته هنداً فربطها في فرسين، ثم ركضهما حتى قطعاهما، ويقال: بل أحرقها، وقال فيها:

إن من غره النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين والحديث ومر كل شيء أجن منها الضمير
كل أنثى^(١) وإن^(١) بدالك منها آية الحب حبها خيتعور^(١)

[ثم عاد إلى الحيرة].

قلت: هكذا قال بعض العلماء: إن زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجراً، وهذا غير صحيح؛ لأن ملوك سليح^(٢) كانوا بأطراف الشام^(٣) [مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم، كما كان ملوك الحيرة عمالاً لملوك الفرس على البر والعرب، ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام، ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال، وقولهم: ملك الشام]، غير صحيح، وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل؛ لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أبي أنوشروان. وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة. وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وستة عشرة سنة، وكانوا بعد سليح، [ولم يكن زياد آخر ملوك سليح، فتزيد المدة زيادة أخرى]، وهذا تفاوت كثير، فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه؟ وحيث أطبقت رواية العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها، وأصلح ما قيل فيه: إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم، أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم

(١) خيتعور: كل ما لا يدوم على حاله.

(١) في المخطوطة: فإن.

(٢) في المخطوطة: سليح إنما.

(٣) في المخطوطة: الشام فقتلهم ملك الشام.

هذا القول، والله أعلم. وقولهم أيضاً: إنَّ حجراً عاد إلى الحيرة، لا يستقيم أيضاً؛ لأن ملوك الحيرة من ولد عدتي بن نصر اللخمي لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ، فإنه استعمل الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل، فلما ولي أنوشروان عزل الحارث وأعاد اللخميين، ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصباً، [والله أعلم]. إنَّ أبا عبيدة ذكر هذا اليوم، ولم يذكر أنَّ ابن هبولة من سليح، بل قال: هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان، ولم يذكر عوده إلى الحيرة، فزال هذا الوهم.

وسليح: بفتح السين المهملة، وكسر اللام، وآخره حاء مهملة].

ذكر مقتل حجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بمقتله إلى أن مات امرؤ القيس

نذكر أولاً سبب ملكهم العرب بنجد، ونسوق الحادثة إلى قتله وما يتصل به فنقول: كان [سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الأمر، وأكل القوي الضعيف؛ فنظر العقلاء في أمرهم، فرأوا أن يملكو عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي، فنهاهم العرب، وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم؛ لأنه يطيعه قوم ويخالفه آخرون، فساروا إلى بعض تبابعة اليمن، وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا منه أن يملك عليهم ملكاً، فملك عليهم [حجر بن عمرو آكل المرار]، فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل، وأغار ببكر، فانتزع عامة ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر، وبقي كذلك إلى أن مات، فدفن ببطن عاقل، فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار، [وهو المقصور، ملكاً بعد أبيه، وإنما قيل له: المقصور؛ لأنه قصر على ملك أبيه، وكان أخوه معاوية، وهو الجون، على اليمامة.

فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك^(١) بعيد الصوت^(١). فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج في أيامه مزدك، فدعا الناس إلى الزندقة، كما ذكرناه، فأجابه قباذ إلى ذلك، وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً للأكاسرة على الحيرة ونواحيها، فدعا قباذ إلى الدخول معه، فامتنع، فدعا الحارث بن عمرو إلى ذلك فأجابه، فاستعمله على الحيرة، وطرده المنذر عن مملكته^(١).

(١) ذكره الأصفهاني في «تاريخ سني ملوك الأرض» (٩١)، وذكره أيضاً في «الأغاني» (٧٩/٩).

ج
٣٠٤/ط

وقيل في تمليكه غير ذلك، وقد ذكرناه أيام قباز، فبقوا/ كذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان بن قباز بعد أبيه، فقتل مزدك وأصحابه، وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ولاية الحيرة، وطلب الحارث بن عمرو، وكان بالأنبار وبها منزله، فهرب بأولاده وماله وهجانه، وتبعه المنذر بالخيال من تغلب وإياد وبهراء، فلحق بأرض كلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجانه، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار، فيهم: عمرو ومالك ابنا الحارث، فقدموا بهم على المنذر، فقتلهم في ديار بني مرينا، وفيهم^(١) يقول عمرو بن كلثوم^(١):
فآبوا بالنهب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصقديننا
وفيهم يقول امرؤ القيس:

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشيّة يُقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تُغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا^(١)
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا^(٢)

وأقام الحارث بديار كلب، فتزعم كلب: أنهم قتلوه، وعلماء كندة تزعم: أنه خرج يتصيد، فتبع تيساً من الظباء فأعجزه، فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلا من كبده، فطلبته الخيل، فأتى به بعد ثلاثة، وقد كان يهلك جوعاً^(٢)، فشوي له بطنه، فأكل فلذة من كبده حارة فمات.

ولما كان الحارث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار، فقالوا: إنا في طاعتك، وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ما تعلم، ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا، فيكفون بعضنا عن بعض. ففرق أولاده في قبائل العرب، فملك ابنه حجراً على بني أسد بن خزيمة وغطفان، وملك ابنه شرحبيل، وهو الذي قتل يوم الكلاب، على بكر بن وائل بأسرها وعلى غيرها، وملك ابنه معد يكرب، وهو غلفاء، [وإنما قيل له: غلفاء]؛ لأنه كان يغلف رأسه/ بالطيب، على قيس عيلان وطوائف غيرهم، وملك ابنه سلمة على تغلب، والنمر بن قاسط، وبني سعد بن زيد مناة من تميم^(٣).

ج
٧٤/ب

(١) مرملينا: ملطخين.

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٨٠/٩).

(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٨١/٩، ٨٢).

فبقي حجر في بني أسد، وله عليهم جائزة وإتاوة كل سنة لما يحتاج إليه، فبقي كذلك دهرأ، ثم بعث إليهم من يجبي ذلك منهم، وكانوا بتهمته، وطرردوا رسله وضربوهم، فبلغ ذلك حجراً، فسار إليهم بجند من ربيعة، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم، وجعل يقتلهم بالعصا، وأباح الأموال، وسيّرهم إلى تهامة، وحبس منهم جماعة من أشرفهم، منهم: عبيد بن الأبرص^(١) الشاعر، فقال شعراً يستعطفه لهم، فرق لهم وأرسل من يردهم، فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي. فقال لهم: من الملك الصلح، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، هذا دمه، يتثعب، وهو غداً أول من يستلب؟ قالوا: ومن هو؟ قال: لولا تجيش نفس خاشية، لأخبرتكم أنه حجر، ضاحية، فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا إلى عسكر حجر، فهجموا عليه في قبته فقتلوه، وطعنه علباء بن الحارث الكاهلي فقتله، وكان حجر قتل أباه، فلما قتل قالت بنو أسد: يا معشر كنانة وقيس، أنتم إخواننا^(١) وبنو عمنا^(١)، والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه، فانتهبوهم. فشدوا على هجانه فانتهبوها، ولفوه في رِيطة بيضاء وألقوه على الطريق، فلما رآته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه، وأجار عمرو بن مسعود عياله^(٢).

وقيل: إنَّ حجراً^(٢) لما رأى اجتماع بني أسد [عليه] خافهم، فاستجار عويمر بن شجنة، أحد بني عطار بن كعب بن زيد مائة بن تميم، لبنته هند بنت حجر وعياله، وقال لبني أسد: إن كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم. فوادعوه على ذلك وسار عنهم، وأقام في قومه مدة، ثم جمع لهم جمعاً عظيماً، وأقبل إليهم مدلاً بمن معه، فتآمرت بنو أسد، وقالوا: والله لئن قهركم ليحكمنَّ عليكم حكم الصبي، فما خير العيش حينئذٍ فموتوا كراماً. فاجتمعوا وساروا إلى حجر [فلقوه]، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث، فحمل على حجر فطعنه^(٣) فقتله، وانهزمت كندة ومن معهم، وأسروا بنو أسد من أهل بيت حجر، وغنموا حتى ملأوا أيديهم من الغنائم،

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١٨٧/١)، وذكره ابن سلام في «طبقات الشعراء» (١١٦)، وذكره القالي

في «الأمالي» (١٩٩/٣)، وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (٣٢٢/١).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٨٤/٩).

(1-1) في المخطوطة: بني أعما منا.

(2) في المخطوطة: عمرو.

(3) في المخطوطة: واطعنه.

وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم، فاققسموه بينهم^(١).

وقيل: إن حجراً أخذ أسيراً في المعركة وجعل في قبة، فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه؛ لأن حجراً كان قتل أباه، فلما جرحه لم يقض عليه، فأوصى حجر، ودفع كتابه إلى رجل، وقال له: انطلق إلى ابني نافع، وكان أكبر أولاده^(١)، فإن بكى وجزع فاتركه، واستقرهم واحداً واحداً، حتى تأتي امرؤ القيس، وكان أصغرهم، فأيهم لم يجزع فادفع إليه خيلي وسلاحي ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره.

فانطلق الرجل بوصيته إلى ابنه نافع، فوضع التراب على رأسه، ثم أتاهم كلهم، ففعلوا مثله حتى أتى امرؤ القيس، فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنرد، فقال: قتل حجر، فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه، فقال له امرؤ القيس: اضرب، فضرب حتى/ إذا فرغ، قال: ما كنت لأفسد^(٢) دستك، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله، فأخبره، فقال [له]: الخمر والنساء عليّ حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة، وكان حجر قد طرد امرؤ القيس لقوله الشعر، وكان يأنف منه، [وكانت أم امرؤ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب بن وائل]، وكان يسير في أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد، فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون من أرض اليمن، فلما سمع الخبر قال:

تطاول الليل علينا دمّون دمّون إنا معشر يمانون
واننا لقومنا محبون^(٢)

ثم قال: ضيّعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمراً وغداً أمرّ. فذهبت مثلاً، ثم ارتحل حتى نزل بيكر وتغلب، فسألهم النصر على بني أسد، فأجابوه. فبعث العيون إلى بني أسد، فنذروا به، فلجأوا إلى بني كنانة، وعيون امرؤ القيس معهم، فقال لهم علباء بن الحارث: اعلموا أن عيون امرؤ القيس قد عادوا إليه بخبركم، وأنكم عند بني كنانة، فارحلوا بليل، ولا تعلموا بني كنانة. فارتحلوا، وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يظنهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك، يا لثارات الهمام! فقيل^(٣) له: أبيت

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٨٤/٩، ٨٥).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٨٨/٩).

(١) في المخطوطة: ولده.

(٢) في المخطوطة: لأفسد عليك.

(٣) في المخطوطة: فقال.

اللعن! لسنا لك بثأر، نحن بنو كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم، فإن القوم قد ساروا بالأمس. فتبع بني أسد، ففاتوه ليلتهم، فقال في ذلك:

ألا يالهف هندي إثر قوم هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقيين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب^(١)

يعني: ببني أبيهم كنانة، فإن أسداً وكنانة ابني خزيمة هما أخوان، وقوله: ولو أدركته صفر/ الوطاب، قيل: كانوا قتلوه واستاقوا إبله، فصفرت وطابه من اللبن، أي: خلت.

ج
١/٧٥

وقيل: كانوا قتلوه فخلاً جلده، وهو وطابه، من دمه بقتله، فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد، فأدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشاً، وبنو أسد نازلون على الماء، فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم، وهربت بنو أسد، فلما أصبحت بكر وتغلب أبوها أن يتبعوهم، وقالوا: قد أصبت ثأرك، فقال: لا والله، فقالوا: بلى ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتلهم بني كنانة، فانصرفوا عنه، ومضى إلى أزد شنوءة يستنصرهم، فأبوا أن ينصروه؛ وقالوا: إخواننا وجيراننا. فسار عنهم ونزل بقبيل يدعى: مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وكان بينهما قرابة. فاستنصره على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس، وملك بعده رجل من حمير، يقال له: قمرل، فزود امرأ القيس، ثم سير معه ذلك الجيش، وتبعه شذاذ من العرب، واستأجر غيرهم من قبائل اليمن، فسار بهم إلى بني أسد، وظفر^(١) بهم.

ج
١/٣٠٧

ثم إن المنذر طلب امرأ القيس، ولجّ في طلبه، ووجه الجيوش إليه، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة، وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم، فنجا في جماعة من أهله، ونزل بالحارث بن شهاب اليربوعي، وهو أبو عتيبة بن الحارث، فأرسل إليه المنذر يتوعده بالقتال إن لم يسلمهم إليه، فسلمهم، ونجا امرؤ القيس [ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث، وابنته هند ابنة امرئ القيس وأدراعه وسلاحه وماله، فخرج ونزل على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه، فأجاره، ومدحه امرؤ القيس]، ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائي، فأقام عنده واتخذ إبلًا هناك، فعدا قوم من جديلة، يقال لهم: بنو زيد عليها فأخذوها، فأعطاه بنو نهبان معزى يحلبها، فقال:

(١) ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢١٨/١)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩١/٩).

إذا لم تكن إيل فمعزى كأن قرون جلّتها العصى^(١)
الآيات.

ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله، فعلم امرؤ القيس بذلك، فانتقل إلى رجل من بني ثعل، يقال له: حارثة بن مر، فاستجاره فأجاره. ف وقعت بين عامر بن جوين والثعلبي حرب، وكانت^(١) أمور كبيرة، فلما رأى امرؤ القيس أن الحرب قد وقعت بين طيء بسببه خرج من عندهم، فقصده السموأل بن عادياء اليهودي، فأكرمه وأنزله، فأقام عنده امرؤ القيس ما شاء الله، ثم طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر، ففعل ذلك، وسار إلى الحارث وأودع أهله وأدراعه عند السموأل، فلما وصل إلى قيصر أكرمه، فبلغ ذلك بني أسد، فأرسلوا رجلاً منهم، يقال له: الطماح، كان امرؤ القيس قتل أخاً له، فوصل الأسدي، وقد سیر قيصر مع امرئ القيس جيشاً كثيفاً، فيهم جماعة من أبناء الملوك.

ج
٣٠٨/ط

فلما سار امرؤ القيس، قال الطماح لقيصر: إن امرأ القيس غوي عاهر، وقد ذكر أنه كان يرأسل ابنتك ويواصلها، وقال فيها أشعاراً أشهرها بها في العرب، فبعث إليه قيصر بحلة وشي منسوجة بالذهب، مسمومة، وكتب إليه: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمه لك فالبسها، واكتب إليّ بخبرك من منزل منزل.

فلبسها امرؤ القيس وسرّ بذلك، فأسرع فيه^(٢) السم وسقط جلده، فلذلك سُمي: ذا القروح، فقال امرؤ القيس في ذلك^(٣):

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسني مما يلبس أبؤسا
فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل إلى موضع من بلاد الروم، يقال له: أنقرة احتضر بها، فقال: رُب خطبة مُسحفره، وطعنة مُثعنجرة^(٢)، وجفنة مستحيرة، حلت بأرض أنقرة، ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجانب عسيب، وهو جبل، فقال:

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩٥/٩).

(٢) مثنجرة: السائلة.

(١) في المخطوطة: فكانت.

(٢) في المخطوطة: إليه.

(٣) في المخطوطة: ذلك شعراً.

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب
 أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب^(١)
 ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك^(٢).

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني إلى السموأل بن عاديا،
 وطلبه بأدراع امرئ القيس، وكانت مائة درع، وبما له عنده، فلم يعطه، فأخذ الحارث
 ابناً للسموأل، [فقال: إما أن تسلم الأدرع وإما قتلت ابنك. فأبى السموأل أن يسلم إليه
 شيئاً، فقتل ابنه، فقال السموأل] في ذلك:

وفيت بأدراع الكندي إني إذا ذم أقواماً وفيت
 وأوصى عادياً يوماً بأن لا تهدم يا سموأل ما بنيت
 بنى لي عادياً حصناً حصيناً وماء كلما شئت استقيت
 وقد ذكر الأعمى هذه الحادثة، فقال:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
 إذا سامه خُطّتي خسفٍ فقال له: قل ما تشاء فإني سامعٌ حار
 فقال: غدرٌ وثكلٌ أنت بينهما فاختر فما فيهما حظٌ لمختار/
 فشك غير طويلٍ ثم قال له: اقتتل أسيرك إني مانعٌ جاري
 وهي أكثر من هذا^(٣).

يوم خزاز^(١)

وكان من حديثه: أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وربيعة
 وقضاعة، فوفد عليه وفدٌ من وجوه بني معد، منهم: سدوس بن شيبان بن ذهل بن

ج
 ١٣
 ٣٠٩
 ط

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (٥٣/١)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢٢٠/١).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩٣/٩)، (١٠١/٩).

(٣) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١٨٣/١)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١٢/٢٢)، وذكره أبو
 الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧٥/١، ٧٦).

تلعبة، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان، وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان، فلقبهم رجل من بهراء، يقال له: عبيد بن قراد، وكان في الأسارى، وكان شاعراً، فسألهم أن يدخلوه في عدة من يسألون فيه، فكلّموا الملك فيه وفي الأسارى، فوهبهم لهم، فقال عبيد بن قراد البهراوي:

نفسى الفداء لعوف الفعال	وعوف ولابن هلال جشم
تداركني بعد ما قد هوى	ت مستمسكاً بعراقي الوذم
ولولا سدوس وقد شمّرت	بي الحرب زلت بنعلي القدم
وناديت بهراء كي يسمعوا	وليس بأذانبهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسط	معداً إذا ما عزيز أزم/

ج ١
ط/٣١٠

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة، وقال للباقيين: ائتوني برؤساء [قومكم] لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي، وإلا قتلت أصحابكم. فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر، فبعث كليب وائل إلى ربيعة فجمعهم، واجتمعت معد عليه، وهو أحد نفر الذين اجتمعت عليهم معد، على ما ذكره في مقتل كليب. فلما اجتمعوا عليه سار بهم، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي، وهو: سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب، وأمرهم أن يوقدوا على خزاز ناراً ليهتدوا بها، وخزاز: جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة، وهو قريب من سالع، وهو جبل أيضاً، وقال له: إن غشيك العدو فأوقد نارين، فبلغ مذحجاً اجتماع ربيعة ومسيرها، فأقبلوا بجمعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة، ووصلت مذحج إلى خزاز ليلاً، فرفع السفاح نارين. فلما رأى كليب النارين أقبل إليهم بالجموع فصبحهم، فالتقوا بخزاز، فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل، فانهزمت مذحج وانفضت جموعها، فقال السفاح في ذلك:

وليلة بت أوقد في خزاز	هديت كتائباً متحيرات
ضللن من السهاد وكنّ لولا	سهاد القوم أحسب هاديات ^(١)

وقال الفرزدق يخاطب جريراً ويهجو^(٢):

(١) انظر «أيام العرب» (١٠٩).

(٢) أنظر نقائص جرير و الفرزدق (ص: ٤٥٢).

لولا فوارس تغلب ابنة وائل [دخل العدو عليك كل مكان]
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين أشرفتا على النيران]

وقيل: إنه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز؛ لأن عمرو بن كلثوم، وهو ابن ابنة كليب، يقول:

ونحن غداة أوقد في خزاز رفدنا فوق رفد الرافديننا
فلو كان جده الرئيس لذكره، ولم يفتخر بأنه رفد، ثم جعل من شهد خزازاً متساندين فقال:

فكنا الأيمنين^(١) إذا التقينا وكان الأيسرين^(٢) بنو أبينا
فصالوا صولةً فيمن يليهم وصلنا صولةً فيمن يلينا

فقالوا له: استأثرت على إختوك، يعني: مضر، ولما ذكر جده في القصيدة قال:
ومنا قبله الساعي كليب فأبي المجد إلا قد ولينا؟/

ج
٣١١/ط

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز، وهي أشرف ما كان يفتخر له به.

حبيب: بضم الحاء المهملة، وفتح الباء الموحدة، وسكون الياء تحتها نقطتان،
وآخره باء أخرى موحدة.

ذكر مقتل كُليب والأيام بين بكر وتغلب

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كُليب، واسمه: وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وإنما لقب: كليياً؛ لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب، فإذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه، ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عواء أحد إلا تجنبه ولم يقربه، وكان يقال له: كليب وائل، ثم اختصروا فقالوا: كليب، فغلب عليه^(٣).

(١) الأيمنين: المتقدمون.

(٢) الأيسرين: المتخلفون.

(٣) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧٧/١)، وذكره التويري في «نهاية الأرب» (٣٩٨/١٥)، وذكره ابن عبد ربه في «المعقد الفريد» (٧١/٣)، (١٢٠/٣)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٣٤/٥).

وكان لواء ربيعة بن نزار للأكبر فالأكبر من ولده، فكان⁽¹⁾ اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة، وكان سنتهم أنهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم⁽²⁾، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلا من يخالفهم ويريد حربهم، ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دُعَمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

وكانت سنتهم إذا شتموا لطموا من شتمهم، وإذا لطموا قتلوا من لطمهم، ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب، وكان لهم غير سنة من تقدمهم، ثم تحول اللواء إلى بكر بن وائل، فساؤوا غيرهم في فرخ طائر، كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق، فإذا علم بمكانه لم يسلك، أحد ذلك الطريق، ويسلك من يريد/ الذهب والمجيء [عن يمينه ويساره، ثم تحول اللواء إلى تغلب، فوليه وائل بن ربيعة، وكانت سنته ما ذكرناه من جرو الكلب]، ولم تجتمع معد إلا على ثلاثة نفر، وهم: عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث، وهو: عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وهو الناس ابن مضر، [- بالنون - وهو أخو إلياس بن مضر]، وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن.

ج
١/٧٦

والثاني: ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب، وكان قائد معد يوم السلان/ بين أهل اليمامة واليمن.

ج
١/٣١٢

والثالث: وائل بن ربيعة، وكان قائد معد يوم خزاز، ففض جموع اليمن وهزمهم، وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته، وبقي زماناً من الدهر، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يرعى حماه وكان يقول: وحش أرض كذا في جوارى، فلا يصاد، ولا يورد أحد مع إبله، ولا يوقد ناراً مع ناره، ولا يمر أحد بين [بيوته] ولا يحتبي في مجلسه.

وكانت بنو جشم، وبنو شيبان أخلاطاً في دار واحدة، إرادة الجماعة ومخافة الفرقة، وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة، وهي أخت جساس بن مرة، وحمى كليب أرضاً من العالية في أول الربيع، وكان لا يقربها إلا محارب، ثم إن رجلاً يقال له: سعد بن شمس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية، خالة جساس بن مرة.

(1) في المخطوطة: وكان.

(2) في المخطوطة: شاربهم.

وكان للجرمي ناقة اسمها: سراب، ترعى مع نوق جساس، وهي التي ضربت العرب بها المثل، فقالت: أشأم من سراب، وأشأم من البسوس^(١).

فخرج كليب يوماً يتعهد الإبل ومراعيها، فأتاها وتردد فيها، وكانت إبله وإبل جساس مختلطة، فنظر كليب إلى سراب فأنكرها، فقال له جساس وهو معه: هذه ناقة جارنا الجرمي، فقال: لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحمى، فقال جساس: لا ترعى إبلي مرعى إلا وهذه معها، فقال كليب: لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها.

فقال جساس: لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رمحي في لبتك! ثم تفرقا، وقال كليب لامرأته: أترين [أن] في العرب رجلاً مانعاً مني جاره؟ قالت: لا أعلمه إلا جساساً، فحدثها الحديث، وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحمى منعتة وناشدته الله أن لا يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جساساً أن يسرح إبله، ثم إن كليباً خرج إلى الحمى وجعل يتصفح الإبل، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه، فولت ولها عجيح حتى بركت بفناء صاحبها، فلما رأى ما بها صرخ بالذل، وسمعت البسوس صراخ جارها، فخرجت إليه، فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها، ثم صاحت: واذلاه! وجساس يراها ويسمع، فخرج إليها، فقال لها: اسكتي ولا تراعي، وسكن الجرمي. وقال لهما: إني سأقتل جملأ أعظم من هذه الناقة، سأقتل غلالاً، [وكان غلال] فحل إبل كليب لم ير في زمانه مثله، وإنما أراد جساس بمقالته كليباً، وكان لكليب عين يسمع ما يقولون، فأعاد الكلام على كليب، فقال: لقد اقتصر من يمينه على غلال. ولم يزل جساس يطلب غرة كليب، فخرج كليب يوماً آمناً، فلما بعد عن البيوت/ ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليباً، فوقف كليب، فقال له جساس: يا كليب الرمح وراءك! فقال: إن كنت صادقاً فأقبل إليّ من أمامي، ولم يلتفت إليه، فطعنه فأرداه عن فرسه، فقال: يا جساس، أغثني بشربة من ماء، فلم يأت به بشيء، وقضى كليب نجه، فأمر جساس رجلاً كان معه اسمه: عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان، فجعل عليه أحجاراً لثلاثاً تأكله السباع، وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة، أخو كليب:

قتيل ما قتل المرء عمرو / وجساس بن مرة ذي صريم
أصاب فؤاده بأصم لدين / فلم يعطف هناك على حميم
فإن غداً وبعد غدٍ لرهن / لأمر ما يقام له عظيم

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٣٥/٥)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٧١/٣).

جسيماً ما بكيت به كليياً إذا ذكر الفعال من الجسيم
سأشرب كأسها صرفاً وأسقى بكأسٍ غير منطقة مليم^(١) /

ج
٣١٤ ط

ولما قتل جساس كليياً انصرف على فرسه يركضه، وقد بدت ركبته، فلما نظر أبوه
مرة إلى ذلك، قال: لقد أتاكم جساس بداهية، ما رأيته قط بادي الركبتين إلى اليوم! فلما
وقف على أبيه قال: ما لك يا جساس؟ قال: طعنت طعنة يجتمع^(١) [بنو وائل] غداً لها
رقصاً، قال: ومن طعنت؟ لأمك الشكل! قال: قتلت كليياً، قال: أفعلت؟ قال: نعم، قال:
بس والله ما جئت به قومك! فقال جساس:

تأهب عنك أهبة ذي امتناع فإن الأمر جل عن التلاحي
فإنني قد جنيت عليك حرباً تغص الشيخ بالماء القراح^(٢)

ج
٧٦ ب

فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمه إياه، فقال يجيبه/:

فإن تك قد جنيت عليّ حرباً تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يديك على كليبٍ فلا وكلّ ولا رثُ السلاح/
سألبس ثوبها وأزود عني بها عار المذلة والفضاح

ج
٣١٥ ط

ثم إن مرة دعا قومه إلى نصرته، فأجابوه وجلوا الأسنه، وشحذوا السيوف، وقوموا
الرماح، وتهياؤوا للرحلة إلى جماعة قومهم، وكان همام بن مرة أخو جساس، ومهلل أخو
كليب في ذلك الوقت يشربان، فبعث جساس إلى همام جارية لهم تخبره الخبر، فانتهدت
إليهما وأشارت إلى همام، فقام إليها فأخبرته، فقال له مهلل: ما قالت لك الجارية؟
وكان بينهما عهد أن لا يكتب أحدهما صاحبه شيئاً، فذكر له ما قالت الجارية، وأحب أن
يعلمه ذلك في مداعبة وهزل، فقال له مهلل: است أخيك أضيق من ذلك!، فأقبلا على
شربهما، فقال له مهلل: اشرب، فالיום خمّر وغداً أمر؛ فشرب همام وهو حذر خائف،
فلما سكر مهلل عاد همام إلى أهله، فساروا من ساعتهم إلى جماعة قومهم، وظهر أمر
كليب، فذهبوا إليه فدفنوه، فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه، وخرجت^(٢) الأبقار

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (٢١٥/١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧٧/١)،

وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢٨/١)، (١٢٠/٣).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٣٩/٥).

(١) في المخطوطة: لا يجتمع.

(٢) في المخطوطة: خرج.

وذات الخدور العواتق إليه، وقمن للمأتم، فقال النساء لأخت كليب: أخرجي جلييلة أخت جساس عنا، فإنَّ قيامها فيه شماتة وعار علينا، وكانت^(١) امرأة كليب، كما ذكرنا، [فقال لها أخت كليب: اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت قاتلنا وشقيقة واترنا، فخرجت تجر عطاها، فلقيها أبوها مرّة، فقال لها: ما وراءك يا جلييلة؟] فقالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد خليل، وقتل أخ عن قليل، وبين هذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد، فقال لها: أويكفُ ذلك كرم الصفيح وإغلاء الديات؟ فقالت: أمنية مخدوع ورب الكعبة! ألبدين تدع لك تغلب دم ربه!^(١)

ولما رحلت جلييلة قالت أخت كليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة، فبلغ قولها جلييلة، فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها^(٢)؟! أسعد الله أختي ألا قالت: نفرة الحياء وخوف الأعداء! ثم أنشأت تقول:

يا ابنة الأقبام إن شئت فلا	تعجلي باللوم حتى تسألني
فإذا ما أنت تبيننت الذي	يوجب اللوم فليسومي واعدلي
إن تكن أخت امرئٍ ليمنت على	شفقٍ منها عليه فافعلي
جلٌ عندي فعل جساسٍ فيا	حسرتا فيما انجلت أو تنجلي
فعل جساسٍ على وجدي به	قاطعٌ ظهري ومدنٌ أجلي
لو بعينٍ فقئت عينٌ سوى	أختها فانفقات لم أحفل/
تحمل العين قذى العين كما	تحمل الأم أذى ما تفتلي ^(٣)
يا قتيلاً قوض الدهر به	سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته	وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثر	رمية المصمي به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد	خصني الدهر برزءٍ مُعضل
خصني قتل كُليبٍ بلظي	من ورائي ولظيٍ مستقبل
ليس من يبكي ليوميه كمن	إنما يبكي ليومٍ مقبل ^(٢)

ج
٣١٦ ط

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٦٦).

(٢) وترها: الثأر.

(٣) تفتلي: تظم عن الرضاع.

(١) في المخطوطة: فكانت.

(٢) في المخطوطة: كل.

يشتفي المدرك بالثأر وفي دركي ثأري ثكل المشكل^(١)
 ليته كان دماً فاحتلبوا درراً منه دمي من أكحل^(٢)
 إنني قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لي^(٣)

وأما مهلهل، واسمه: عدّي، وقيل: امرؤ القيس، وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي، وإنما لقب: مهلهلاً؛ لأنه أول من هلهل الشعر، وقصد القصائد، وأول من كذب في شعره، فإنه لما صحا لم يرعه إلا النساء يصرخن: ألا [إن] كليباً^(١) قتل، فقال، وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة:

كنا نغار على العواتق أن ترى
 فخرجن حين ثوى كليب حسراً
 فترى الكواعب كالظباء عواطلاً
 يخمشن من آدم^(٢) الوجوه حواسراً
 متسلبات نكدهن وقد وري
 ويقلن من للمستضيف إذا دعا
 أم لا تسار بالجزور إذا غدا
 أم من لإسباق الديات وجمعها
 كان الذخيرة للزمان فقد أتى
 يا لهف نفسي من زمان فاجع
 بمصيبة لا تُستقال جليلاً
 هدت حصوناً كن قبل ملاوذاً
 أضحت وأضحى سورها من بعده
 فابكين سيد قومه واندبنه/
 وابكين للأيتام لما أقحطوا
 وابكين مصرع جیده متزماً

١ج
١٧/٣١٧ ط

١ج
١/٧٧

(١) المثل: التي لازمها الحزن.

(٢) أكحل: عرق في اليد.

(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٦٩/٥).

(١) في المخطوطة: كليب.

(٢) في المخطوطة: له.

فلأتركن به قبائل تغلبٍ قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور أكفها ينهشنها وحواجل الغربان
ثم انطلق إلى المكان الذي قتل فيه كليب فرأى دمه، وأتى قبره فوقف عليه، ثم
قال:

إن تحت السراب حزماً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا معلاق
حيةً في الوجار أربد لا ينفع منه السليم نفث الراقي^(١)

ثم جز شعره، وقصر ثوبه، وهجر النساء، وترك الغزل، وحرم القمار والشراب،
وجمع إليه قومه، وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيان وهو
في نادي قومه، فقالوا له: إنكم أنتم عظيماً بقتلكم كليباً بناقة، وقطعتم الرحم، وانتهكتم
الحرمة، وإنا نعرض عليك خلالاً أربعاً، لكم فيها مخرج، ولنا فيه مقنع، إما أن تحيي لنا
كليباً، أو تدفع إلينا قاتله جساساً فنقتله به، أو هماماً فإنه كفء له، أو تمكنا من نفسك،
فإن فيك وفاء لدمه، فقال لهم: أما إحيائي كليباً فليست قادراً عليه، وأما دفعي جساساً
إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل، وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد، وأما همام
فإنه [أبو] عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، كلهم فرسان قومهم، فلن يسلموه بجزيرة غيره،
وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة، فأكون أول قتيل، فما أتعجل الموت، ولكن
لكم عندي خصلتان: أما إحداهما: فهؤلاء أبنائي الباقون، فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه
بصاحبكم، وأما الأخرى: فإن أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر، فغضب
القوم، وقالوا: قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب؟ ونشبت الحرب بينهم.
ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها، واعتزلت قبائل بكر الحرب، وكرهوا مساعدة
بني شيان على القتال، وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر، وكف الحارث بن عباد
عن/ نصرهم ومعه أهل بيته، وقال مهلهل عدة قصائد يرثي كليباً منها:

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها إذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أي فتى عز ومكرمة تحت السقائف إذ يعلوك سافيتها؟

نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم: مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ما كل آلائه يا قوم أحصيتها
القائد الخيل تردي في أعنتها رهواً إذا الخيل لجت في تعاديتها

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٦٠/٥).

من خيل تغلب ما تلقى أسنتها
 يُهزهزون من الخطي مدمجة
 ليت السماء على من تحتها وقعت
 لا أصلح الله منا من يصلححكم
 إلا وقد خضبوها من أعاديها
 صمًا أنابيبها زُرْقاً عواليها
 وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها
 ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها^(١)

فالتقوا أول قتال كان بينهم، في قول يوم عنيزة^(٢)، وهي عند فلج، وكانا^(١) على
 السواء، فقال مهلهل:

كأنا غدوة وبسني أبينا
 ولولا الريح أسمع أهل حجر
 بجنب عنيزة رحيا مديرا
 صليل البيض تفرع بالذكور^(٣)

ج
 ٣١٩ ط

فتفرقوا ثم بقوا زماناً، ثم إنهم التقوا بماء، يقال له: الثَّهي، كانت بنو شيبان نازلة
 عليه، ويروى أنها أول وقعة كانت بينهم، وكان رئيس تغلب مهلهل، ورئيس شيبان
 الحارث بن مرة، وكانت الدائرة لبني تغلب، وكانت الشوكة في بني شيبان، واستحر القتال
 فيهم، إلا أنه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بني مرة^(٤).

ثم التقوا بالذئاب، وهي أعظم وقعة كانت لهم، فظفرت بنو تغلب، وقتلت بكراً
 مقتلة عظيمة، وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان، وهو جد الحوفزان
 وجد معن بن زائدة، وقتل الحارث بن مرة بن ذهل بن شيبان، وقتل من بني ذهل بن
 ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤوساء بكر^(٥).

ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت تغلب أيضاً، وكثر القتل في
 بكر، فقتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأمه، فمر مهلهل، فلما رآه

(١) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢١٧/٥).

(٢) يوم عنيزة ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٤٠١/٢٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/٧٧).

(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٦٥/٥)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢٢٠/٥).

(٤) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٤٠١/١٥)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢١٨/٥)، وذكره أبو
 الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧٧/١).

(٥) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٤٠١/١٥)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢١٨/٥)، وذكره أبو
 الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧٧/١).

قتيلاً قال: والله ما قتل بعد كليب أعز عليّ منك، وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبداً. وقيل: إنما قتل يوم القصيبات، وقيل: يوم قضة، قتله ناشرة، وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة، وكان عنده. فلما شب علم أنه تغلبي، فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل، فإذا عطش جاء إلى قربة له يشرب منها، فتغفله ناشرة فقتله، ولحق بقومه تغلب، وكاد^(١) جساس يؤخذ فسلم، فقال مهلهل/:

ج ١
ط/٣٢٠

ج ١
ب/٧٧

لو أن خيالي أدركتك وجدتهم/ مثل الليوث بستر غبّ عرين

ويقول فيها:

ولأوردن الخيل بطن أراكة
ولأقتلن جحاجحاً من بكركم
حتى تظل الحاملات مخافةً
ولأقضين بفعل ذاك ديوني
ولأبكين بها جفون عيون
من وقعنا يقذفن كل جنين^(١)

وقيل في ترتيب الأيام غير ما ذكرنا، وسنذكره إن شاء الله تعالى، وكان أبو نويرة التغلبي وغيره طلائع قومه، وكان جساس وغيره طلائع قومهم، والتقى بعض الليالي جساس وأبو نويرة، فقال له أبو نويرة: اختر إما الصراع، أو الطعان، أو المسايقة. فاختار جساس الصراع، فاصطربا وأبطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه، وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان، وقد كاد جساس يصرعه، ففترقا بينهما، وجعلت تغلب تطلب جساساً، أشد الطلب، فقال له أبوه مرة: الحق بأخوالك بالشام، فامتنع، فألح عليه أبوه فسيّره سراً في خمسة نفر، وبلغ الخبر إلى مهلهل، فندب أبا نويرة، ومعه ثلاثون رجلاً من شجعان أصحابه، فساروا مجدين، فأدركوا جساساً، فقاتلهم، فقتل أبو نويرة وأصحابه، ولم يبق منهم غير رجلين، وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً، فعاد كل واحد من السالمين إلى أصحابه، فلما سمع مرة قتل ابنه جساس، قال: إنما يحزنني إن كان لم يقتل منهم أحداً، ففيل له: إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلاً، ما شركه منا أحد في قتلهم، وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك مما يسكن قلبي عن جساس.

وقيل: إن جساساً آخر من قتل في حرب بكر وتغلب، وكان سبب قتله: أن أخته

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٤٧/٥).

(١) في المخطوطة: كان.

جليلة كانت تحت كليب وائل. [فلما قتل كليب] عادت إلى أبيها وهي حامل، ووقعت الحرب، وكان من الفريقين ما كان، ثم عادوا إلى المواعدة بعد ما كادت الفتتان تتفاني، فولدت أخت جساس غلاماً، فسمته: هجرساً، ورباه جساس، وكان لا يعرف أباً غيره، فزوجه ابنته^(١).

فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام، فقال له البكري: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك. فأمسك عنه، ودخل إلى أمه كئيباً حزيناً، فأخبرها الخبر، فلما نام إلى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته، فقصت على أبيها جساس قصته، فقال: /: ثائر ورب الكعبة! ويات على مثل الرضف حتى أصبح، فأحضر الهجرس، فقال له: إنما أنت ولدي، وأنت مني بالمكان الذي تعلم، وزوجتك ابنتي، وقد كانت الحرب في أهلك زماناً طويلاً، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق معي حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا، قال الهجرس: أنا فاعلٌ. فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته، وقال: مثلي لا يأتي أهله بغير سلاحه، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقص عليهم جساس القصة، وأعلمهم أن الهجرس يدخل في الذي دخل فيه جماعتهم، وقد حضر ليعقد ما عقدتم، فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم، قال: وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جساساً فقتله، ولحق بقومه، وكان آخر قتيل في بكر. والأول أكثر.

ونرجع إلى سياقة الحديث، فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة إلى مهلهل: إنك قد أدركت ثأرك وقتلت جساساً، فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف، وأصلح ذات البين، فهو أصلح للحيين وأنكأ لعدوهم، فلم يجب إلى ذلك، وكان الحارث بن عباد قد اعتزل الحرب، فلم يشهداها، فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيراً، وهو ابن عمرو بن عباد أخي الحارث بن عباد، فلما حملة على الناقة كتب معه إلى مهلهل: إنك قد أسرفت في القتل، وأدركت ثأرك سوى ما قتلت من بكر، وقد أرسلت ابني إليك، فإما قتلته بأخيك وأصلحت بين الحيين، وإما أطلقته وأصلحت ذات البين، فقد مضى من الحيين في هذه الحروب من كان بقاؤه خيراً لنا ولكم، فلما وقف على كتابه أخذ بجيراً فقتله، وقال: بؤ بشسع نعل كليب^(٢).

(١) ذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (ص: ٣٠٥).

(٢) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/٢٤١).

[فلما سمع أبوه بقتله ظن أنه قد قتله بأخيه ليصلح بين الحيين، فقال: نعم القتيل قتيلاً أصلح من ابني وائل! فقيل: إنه قال: بُؤ بشسع نعل كليب]، فغضب عند ذلك الحارث بن عباد، وقال:

قرباً مربوط النعمامة مني لقحت حرب وائل عن حبال
قرباً مربوط النعمامة مني شارب رأسي وأنكرتني رجالي
لم أكن من جناتها علم الله وإنني بحرّها اليوم صالي^(١)

فأتوه بفرسه النعمامة، ولم يكن في زمانها مثلها، فركبها، وولي أمر بكر وشهد حربهم، وكان أول يوم شهده يوم قضة، وهو يوم تحلاق اللّم، وإنما قيل له: تحلاق اللّم؛ لأن/ بكرأ حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً، إلا جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة، فقال لهم: أنا قصير فلا تشينوني، وأنا أشتري لمتي منكم/ بأول فارس يطلع عليكم. فطلع ابن عناق، فشد عليه فقتله، وكان يرتجز ذلك اليوم، ويقول:

ج
ط/٣٢٢
ج
١/٧٨

ردوا عليّ الخيل إن أومت إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي^(٢)

وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالاً شديداً، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة، وفيه يقول طرفة:

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللّم
يوم تبدي البيض عن أسوقها وتلف^(٣) الخيل أفواج النعم^(٤)

وفي هذا اليوم أسر الحارث بن عباد مهلهلاً، واسمه: عدي، وهو لا يعرفه، فقال له: دلني على عدي وأنا أخلي عنك، فقال له المهلهل: عليك عهد الله بذلك إن دلتك عليه؟ قال: نعم، قال: فأنا عدي، فجز ناصيته وتركه، وقال في ذلك:

لهف نفسي على عدي ولم أع رف عدياً إذ^(١) أمكنتني اليدان^(٥)

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥٣/٥).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٤٩/٥).

(٣) تلف: تجمع.

(٤) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥٠/٥).

(٥) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥٤/٥).

وكانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام: يوم عنيزة^(١) تكافأوا فيه وتناصفوا، ثم اليوم الثاني، يوم واردات، كان لتغلب على بكر، ثم اليوم الثالث الحنو، كان لبكر على تغلب، ثم اليوم الرابع يوم القصببات، أصيب بكر حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا، ثم اليوم الخامس يوم قضة، وهو يوم التحالق، وشهده الحارث بن عباد، ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه، منها: يوم النقية، ويوم الفصيل لبكر على تغلب، ثم لم يكن بينهما مزاحفة إنما كان مغاورات، ودامت الحرب بينهما أربعين سنة.

ثم إن مهلهلاً قال لقومه: قد رأيت أن تبقوا على قومكم فإنهم يحبون صلاحكم، وقد أتت على حربكم أربعون^(٢) سنة، وما لمتكم، على ما كان من طلبكم بوتركم، فلو مرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها، فكيف وقد فني الحيان، وثكلت الأمهات، ويتم الأولاد، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي، ودموع لا ترقأ، وأجساد^(٣) لا تدفن، وسيوف مشهورة، ورماح مشرعة! وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم، وتتعطف الأرحام حتى تتواسوا في قتال القتل، فكان كما قال، ثم قال/ مهلهل: أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب، وأخاف أن أحملك على الاستئصال، وأنا سائر إلى اليمن، وفارقهم وسار إلى اليمن، ونزل في جنب، وهي حي من مذحج، فخطبوا إليه ابنته، فمنعهم، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه صداقها جلوداً من آدم، فقال في ذلك:

أعزر على تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جُشم
أنكحها فقدتها الأراقم في^(٤) جنب وكان الحباء من آدم
لوبأبائنين^(١) جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم^(٢)

الأراقم: بطن من جُشم بن تغلب، يعني: حيث فقدت الأراقم، وهم عشيرتها، تزوجها رجل من جنب بآدم، ثم إن مهلهلاً عاد إلى ديار قومه، فأخذ عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري أسيراً بنواحي هجر، فأحسن إيساره، فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من

(١) جيلان أحدهما لبني فزارة وهو: أبان الأبيض، والآخر: أسود لبني أسد. أنظر لسان العرب (١/٥٣).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٥٥).

(١) في المخطوطة: عترة.

(٢) في المخطوطة: أربعين.

(٣) في المخطوطة: الأجساد.

(٤) في المخطوطة: من.

هجر، وكان صديقاً لمهلل، فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر، فاجتمع إليه بنو مالك، فنحروا عنده بكرةً، وشربوا عند مهلل في بيته الذي أفرد له عمرو. فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب، فسمع [منه] عمرو ذلك، فقال: إنه لريان، والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زبيب، وهو فحل كان له، لا يرد إلا خمساً في حمارة القيظ، فطلب بنو مالك زبيباً، وهم حراصٌ على أن لا يهلك مهلل، فلم يقدروا عليه حتى مات مهلل عطشاً، وقيل: إن ابنة خال مهلل، وهي ابنة المجمل التغلبي، كانت امرأة عمرو، وأرادت أن تأتي مهلاً وهو أسير، فقال يذكرها:

طفلة ما ابنة المجمل بيضا ء لعوب لذيذة في العناق^(١)
فاذهبي ما إليك غير بعيدٍ لا يؤاتي العناق من في الوثاق
ضربت صدرها إليّ وقالت: يا عدياً لقد وقتك الأواق^(٢)

وهي أبيات ذوات عدد. فنقل شعره إلى عمرو بن مالك، فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب، فسأله الناس أن يورد زبيباً قبل وروده، ففعل وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه، ثم إنه سقي مهلاً من ماء هناك هو أوخم المياه، فمات مهلل.

عباد: بضم العين، وفتح الباء الموحدة وتخفيفها/.

ج ١
ط/٣٢٤

ذكر الحرب بين الحارث الأعرج وبني تغلب

قال أبو عبيدة: إن بكرةً وتغلب [ابني وائل] اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام، فغزا بهم المنذر بني آكل المرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند، وقال: اغز أحوالك فغزاهم^(١) فاقتلوا، فانهزم^(١) بنو آكل المرار^(٢) وأسروا^(٢)، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام،/ [ونحن نذكر سبب ذلك في أخبار شيبان إن شاء الله].

ج ١
ب/٧٨

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام، وهو الحارث بن أبي

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٥٦).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٥٤).

(1-1) في المخطوطة: فانهم.

(2-2) في المخطوطة: المرار واجتمع معهم وأسروا بنو آكل المرار.

شمر الغساني، فمر بأفاريق من تغلب، فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم [التغليبي]، فلقبه، فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يعلموا بمرورك، فقال: لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدمي، فقال عمرو: ما استيقظ قومٌ قط إلا نبُل رأيهم وعزت جماعتهم، فلا توقظن نائمهم، فقال: كأنك تتوعدي [بهم]، أما والله لتعلمن إذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم، أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها، تجتث أصولهم وتنفي فلهم إلى اليباس الجدد، والنازح الشمد^(١).

ثم رجع^(١) عمرو بن كلثوم [عنه، وجمع] قومه، وقال:

ألا فاعلم أبيت اللعن أئماً أبيت اللعن نأبى ما تريد
^(٢)تعلم أن^(٢) محملنا ثقيلٌ وأن دبار كبيتنا شديد
 وأتاليس حيي من معدٍ يقاومنا إذا لبس الحديد^{(٣)(٢)}

^(٤)فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب^(٤)، فاقتتلوا واشتد القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان، وقتل أخو الحارث في عدد كبير، فقال عمرو بن كلثوم:

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالشكل ويل أبيك يا ابن أبي شمر
 فذق الذي جشمت نفسك واعترف فيها أخاك وعامر بن أبي حجر

يوم عين أباغ

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحارث [بن] الأعرج^(٥) أبي شمر جبلة^(٣).

وقيل: أبو شمر [عمرو] بن جبلة [بن الحارث] بن حجر بن النعمان بن الحارث الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني، وقيل: في نسبه غير هذا، وقيل: هو أزدي تغلب على غسان، والأول أكثر وأصح، وهو الذي طلب أذراع امرئ القيس من السموأل [بن

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥٨/١١).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥٨/١١).

(٣) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢٦٠/٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٨٠/١)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٤٣٠/١٥).

(4-4) في المخطوطة: معه الحرث بن تغلب.

(5) في المخطوطة: الأعرج وهو الحارث بن.

(1) في المخطوطة: جمع.

(2-2) في المخطوطة: أن تعلم أن.

(3) في المخطوطة: الحرير.

ج
٣٢٥/ط

عادياء]، وقتل ابنه، وقيل: غيره، والله أعلم.

وسبب ذلك: أن المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو، مزيقياء بن عامر الغساني ملك العرب بالشام، إما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودي، وإما أن تأذن بحرب، فأرسل إليها الحارث: انظرنا ننظر في أمرنا، فجمع⁽¹⁾ عساكره وسار نحو المنذر، وأرسل إليه، يقول له: إنا شيخان فلا تهلك جنودي وجنودك،⁽²⁾ ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك⁽²⁾ فمن قتل خرج عوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجت أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك. فتعاهدا على ذلك.

فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف⁽³⁾ بين الصنفين ويظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب، فلما رآه رجع إلى أبيه، وقال: إن هذا ليس بابن المنذر إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بني أجزعت من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه وقاتله، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر، وعاد، فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه، فلما واقفه رجع [إلى أبيه]؛ وقال: يا أبت هذا والله عبد المنذر، فقال: يا بني ما كان [الشيخ] ليغدر. فعاد إليه فشدّ عليه فقتله، فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي، وكانت أمه غسانية، وهو مع المنذر، فقال: أيها الملك، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، وقد غدرت بابن عمك دفعيتين. فغضب المنذر وأمر بإخراجه، فلحق بعسكر الحارث فأخبره، فقال له: سل حاجتك، فقال [له]: حلتك وخلتك، فلما كان الغد عبي الحارث أصحابه وحرصهم، وكان في أربعين ألفاً، واصطفوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل المنذر وهزمت جيوشه⁽⁴⁾، فأمر الحارث بابنيه القتيلين، فحملا على بعير بمنزلة العدلين، وجعل المنذر فوقهما [فرداً] وقال: يا لعلاوة دون العدلين! فذهبت مثلاً.

وسار إلى الحيرة فأنهبها وأحرقها، ودفن ابنه بها، وبني العرّيين عليهما، في قول بعضهم، وفي ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابي:

كم تركنا بالعين عين أباغ من ملوك وسوقة أكفاء
أمطرتهم سحائب الموت تترى إن في الموت راحة الأشقياء

(1) في المخطوطة: جمع.

(2) في المخطوطة: ورجل يخرج رجل من ولدك.

(3) في المخطوطة: ويقف.

(4) في المخطوطة: جنوده.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميِّت ميت الأحياء

يوم مرج حليلة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء

لما قتل المنذر بن ماء السماء، على ما تقدم، ملك بعده ابنه المنذر وتلقب⁽¹⁾:

الأسود، فلما/ استقر وثبت قدمه جمع عساكره، وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إنني قد أعددت لك الكهول، على الفحول؛ فأجابه الحارث: قد أعددت لك المرء على الجرد، فسار المنذر حتى نزل بمرج حليلة، فتركه من به من غسان للأسود. / وإنما سمي مرج حليلة: بحليمة ابنة⁽²⁾ الحارث الغساني، وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم.

ج
ط/٣٢٦

ج
١/٧٩

ثم إن الحارث سار فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان، وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل، فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجفان فأكل منها. فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أياماً، ينتصف بعضهم من بعض.

فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هنداً وأمرها، فاتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطيبت به أصحابه، ثم نادى: يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هند، فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه: يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة، أو مقتول دونه لا محالة، ولست أرضى فرسي، فأعطني فرسك الزيتية. فأعطاه فرسه؛ فلما زحف الناس واقتتلوا ساعةً شد لبيد على الأسود فضربه ضربة فألقاه عن فرسه، وانهزم أصحابه في كل وجه، ونزل فاحتز رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم، فألقى الرأس بين يديه. فقال له الحارث: شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها، فقال: بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف الناس انصرفت. فرجع فصادف⁽³⁾ أخا الأسود⁽³⁾ قد رجع إليه الناس وهو يقاتل، وقد اشتدت نكايته، فتقدم لبيد فقاتل فقتل، ولم يقتل في هذه الحروب بعد تلك الهزيمة غيره، وانهزمت لحم هزيمة ثانية، وقتلوا في كل وجه، وانصرفت غسان بأحسن ظفر، وذكر أن الغبار في هذا اليوم اشتد وكثير حتى ستر⁽⁴⁾ الشمس، و[حتى] ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر؛ لأن الأسود سار بعرب العراق أجمع،

(1) في المخطوطة: تلقت.

(2) في المخطوطة: بن.

(3-3) في المخطوطة: أخاه.

(4) في المخطوطة: سترت.

وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم من أشهر أيام العرب^(١)، وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال:

يوم وادي حليلةً وازدلفنا
إذ شحنا أكفنا من رفاق
وأنت هند بالخلوق إلى من
ونصبنا الجفان في ساحة المر
بالعناجيج والرماح الظماء
رق من وقعها سنا السحناء/
كان ذا نجدةٍ وفضل غناء
ج فملنا إلى جفانٍ ملاء^(١)

ج
١٣
ط/٣٢٧

وقيل في قتله: غير ما تقدم، ونحن نذكره، قال بعض العلماء: وكان سببه: أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني خطب إلى المنذر بن [المنذر] اللخمي ابنته، وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان، فزوجه المنذر ابنته هنداً، وكانت لا تريد الرجال، فصنعت^(٢) بجلدها شبيهاً بالبرص، [و] قالت لأبيها: أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان؟ فندم على تزويجها فأمسكها، ثم إن الحارث أرسل يطلبها فمنعها أبوها، واعتل عليه، ثم إن المنذر خرج غازياً، فبعث الحارث [بن أبي شمر جيشاً] إلى الحيرة، فانتهبها وأحرقها، فانصرف المنذر من غزاته^(٣) [لما بلغه من^(٣) الخبر، فسار يريد غسان، وبلغ الخبر الحارث، فجمع أصحابه وقومه فسار بهم، فتوافقوا بعين أباغ، فاصطفوا للقتال، فاقتلوا واشتد الأمر بين الطائفتين، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث، وفيها ابنه فقتلوه، وانهزمت الميسرة، وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر، فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه، وانهزم أصحابه في كل وجه، فقتل منهم بشر كثير، وأسر خلق كثير، منهم من بني تميم، ثم من بني حنظلة مائة أسير، منهم: شأس بن عبدة، فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحارث يطلب إليه أن يطلق أخاه، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها:

طحابك قلب في الحسان طروب
تكلفني ليلى وقد شط أهلها^(٤)
بعيد الشباب عصرحان مشيب
وعادت^(٥) عواد بيننا وخطوب

[يقول فيها]:

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/٨٠)، وأنظر «المفصل في تاريخ العرب» (٣/٢٤٠).

(٤) في المخطوطة: وليها.

(٥) في المخطوطة: عاد.

(١) في المخطوطة: الملاء.

(٢) في المخطوطة: صنعت.

(٣-٣) في المخطوطة: ثم لما بلغه.

فإن تسألوني بالنساء فإنني
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
[يُردن ثراء المال حيث وجدته
وخالد من غسان أهل حفاظها
تخشخش أبدان الحديد عليهم
فلم ينج إلا شطبة بلجامها
وإلا كميّ ذو حفاظٍ كأنه
وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فلا تحرمني نائلاً عن جناية

ج
ط/٣٢٨

فلما بلغ إلى قوله: فحق لشأس من نذاك ذنوب، قال الملك: إي والله وأذنبه، ثم أطلق^(١) شأساً، وقال له: إن شئت الحباء، وإن شئت أسراء قومك؟ وقال لجلسائه: إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه، فقال: أيها الملك، ما كنت لأختار على قومي شيئاً؛ فأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيراً. فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس، وقالوا: أنت كنت السبب في إطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك،/ فحصل له مال كثير من إبل وكسوة وغير ذلك.

ج
ب/٧٩

عبدة: بفتح العين والباء الموحدة.

[وقيل في قتله: أنه جمع عسكرياً ضخماً وسار حتى نزل الشام، وسار ملك الشام، وهو عند الأكثر - الحارث بن أبي شمر، فنزل مرج حليمة، وهو ينسب إلى حليمة بنت الملك، ونزل الملك اللخمي في مرج الصفر، فسير الحارث فارسين طليعة، أحدهما: فارس خصاف، وكانت فرسه تجري على ثلاث فلا تلحق، فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمعة فقتلا حاملها. ففزع القوم، فاضطربوا بأسياهم، فقتل بعضهم بعضاً حتى أصبحوا، وأتاهم رسل الحارث ملك غسان يبذل الصلح والإتاوة. وقال: إني باعث رؤوس القبائل لتقرير الحال، وندب أصحابه، فانتدب له مائة غلام؛ وقيل: ثمانون غلاماً، فألبسهم السلاح وأمر ابنته حليمة أن تطيبهم وتلبسهم ففعلت^(٢).

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/١٤٥، ١٤٦)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢/١٩٩، ٢٠١).

وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (١/٥٦٥)، وأنظر ديوان علقمة بن عبدة (ص: ٢٠).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/١٩٥).

فلما مر بها لبيد بن عمرو فارس الزيتية قبلها، فأتت أباه باكيةً، فقال: هو أسد القوم ولئن سلم لأنكحته إياك، وأمره على القوم وساروا، فلما قاربوا العسكر العراقي جمع الملك رؤوس أصحابه، وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس. فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا، وقتل لبيد بن عمرو ملك العراقيين، وأحيط بالغسانيين فقتلوا إلا لبيد بن عمرو، فإن فرسه لم تبرح، فاستوى عليها، وعاد فأخبر الملك، فقال له: قد أنكحتك ابنتي حليلة^(١).

فقال: لا يتحدث الناس أني فلّ مائة، ثم عاد إلى القوم فقاتل فقتل، وتفقد أهل العراق أشرافهم وإذا بهم قد قتلوا، فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت إليهم غسان فانهمزوا/.

ج
ط/٣٢٩

قلت: قد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الأيام وتقديم بعضها على بعض، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها، فمنهم من يقول: إن يوم حليلة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء، ويوم أبيغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر، ومنهم من يقول بصد ذلك، ومنهم من يجعل اليومين واحداً، فيقول: لم يقتل إلا المنذر بن ماء السماء، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة، وقيل: إن المقتول من ملوك الحيرة غيرهما، فالصحيح: أن المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شك فيه، وأما ابنه ففيه خلاف كثير، والأصح أنه لم يقتل، ومن أثبت قتله اختلفوا في سببه، على ما ذكرناه، وإنما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة؛ لأن كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء، فمتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة أن كل سبب منها حادث مستقل، وقد أهملناه، فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبهننا عليه].

ذكر قتل مضط الحجاره

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة، وكان يلقب: مضط الحجاره لشدة ملكه وقوة سياسته، وأمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المرار، وهي عمه امرئ القيس بن حجر بن الحارث، وكان سبب قتله أنه قال يوماً^(١) لجلسائه: هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي؟ قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي، فإن أمه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب

(١) ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/٢٩٦).

وائل، وزوجها كلثوم، وابنها عمرو، فسكت مضرط الحجاره على ما في نفسه، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيهه، ويأمره أن تزور أمه ليلى أم نفسه هنداً بنت الحارث، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب، ومعه أمه ليلى، فنزل على شاطيء الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه⁽¹⁾، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً، ثم دعا الناس إليه، فقرب إليهم الطعام على باب السرادق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق، ولأمه هند قبة في جانب السرادق، وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة، و[قد] قال مضرط الحجاره لأمه: إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فنحي خدمك عنك، فإذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء، ففعلت هند ما أمرها به ابنها، فلما استدعى الطرف، فقالت هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق، قالت: لتقم⁽²⁾ صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فألحت عليها، فقالت لليلى: واذلاه! يا آل تغلب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه، وثار⁽³⁾ بن كلثوم إلى سيف بن هند وهو معلق في السرادق، وليس هناك سيف غيره، فأخذه، ثم ضرب به رأس مضرط الحجاره فقتله، وخرج فنادى: يا آل تغلب! فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء، وساروا فلاحقوا بالحيرة، فقال [أفنون] التغلبي:

لعمرك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتاً وأمسك من ندمانه بالمخنق⁽¹⁾

يوم الكلاب الأول

قال ابن الكلبي: أول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الكندي، فلما هلك ملك بعد⁽⁴⁾ أبيه عمرو مثل ملك أبيه، فسمي: المقصور؛ لأنه قصر على ملك أبيه، فتزوج عمرو أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني،

(1) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١٥٧/١)، (٣٣١/١) وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥٣/١١)، (٥٥/١١) وذكره أيضاً في «تاريخ سني ملوك الأرض» (٩٣)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢١٠/١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧١/١)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٩٩/٢)، وذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (٢٣٢)، وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (٤٦٠/٤)، وذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢٤٣/١).

(1) في المخطوطة: قيامه. (2) في المخطوطة: ليقم. (3) في المخطوطة: فثار. (4) في المخطوطة: بعده.

فولدت له الحارث، فملك بعد أربعين سنة، وقيل: ستين سنة، فخرج يتصيد فرأى عانة، وهي حمر الوحش، فشد عليها، فانفرد منها حمار، فتبعه وأقسم أن لا يأكل شيئاً قبل⁽¹⁾ كبده، وهو بمسحلان⁽¹⁾⁽²⁾، فطلبته/ الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته، فأتي به، وقد كاد يموت من الجوع، فشوي على النار وأطعم من كبده وهي حارّة، فمات.

وكان الحارث فرق بنيه في قبائل معد، فجعل حجراً في بني أسد وكنانة، وهو أكبر ولده، وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم [وبني أسيد بن عمرو بن تميم، والرّباب، وجعل سلمة، وهو أصغرهم، في بني تغلب، والنمر بن قاسط، وبني سعد بن زيد مناة بن تميم]، وجعل ابنه معد يكر، ويعرف: بغلفاء، في قيس عيلان، وقد تقدم هذا في قتل حجر أبي امرئ القيس، وإنما أعدناه ههنا للحاجة إليه.

فلما هلك الحارث تشتت أمر أولاده وتفرقت كلمتهم، ومشى بينهم الرجال، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه [بالجيوش فسار] شرحبيل فيمن معه من الجيوش، فنزل الكلاب، وهو ماء بين البصرة والكوفة، وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً، وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب، فأقبلوا إلى الكلاب وعلى تغلب: السفاح بن خالد بن كعب بن زهير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض، فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرّباب بكر بن وائل وانهزموا، وثبتت بكر، وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب، وصبرت تغلب، ونادى منادي [شرحبيل: من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي] سلمة: من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل، فاشتد القتال حينئذ، كل يطلب أن يظفر، لعله يصل إلى قتل أحد الرجلين⁽³⁾، ليأخذ مائة من الإبل، فكانت⁽⁴⁾ الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة، ومضى شرحبيل منهزماً، فتبعه ذو السنينة التغلبي، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله، وكان ذو السنينة أخوا أبي حنش لأمه، فقال لأخيه: قتلتني الرجل! وهلك [ذو السنينة]، فقال⁽⁵⁾ أبو حنش لشرحبيل: قتلتني الله إن لم أقتلك! وحمل عليه فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللبّن اللبّن! يعني: الدية، فقال: قد هرقت لبناً كثيراً! فقال: يا أبا حنش أملكاً بسوقة؟ فقال: إن أخي

(1) بمسحلان: ملتقى النخلتين، اليمانية والشامية.

(4) في المخطوطة: وكانت.

(5) في المخطوطة: وقال.

(1) في المخطوطة: غير.

(2) في المخطوطة: بمسحلان.

(3) في المخطوطة: الرجلان.

ملكي قطعنه فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له، فأتاه به^(١) وألقاه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقىته أرفق من هذا!، وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه، فهرب أبو حنش منه، [فقال سلمة]:

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً فما لك لا تجيء إلى الثواب/
لتعلم أن خير الناس طراً قتيلٌ بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاسيس الرباب
فأجابه أبو حنش فقال:

أحاذر أن أجيئك ثم تحببو حباء أبيك يوم ضئيبعات
وكانت غدرةً شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى الممات^(١)

وكان سبب يوم ضييعات: أن ابناً للحرث كان مسترضعاً في^(٢) تميم وبكر^(٢)، ولدغته حية فمات، فأخذ خمسين رجلاً من تميم، وخمسين رجلاً من بكر فقتلهم به، ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مائة بن تميم دون أهله وعياله، فمنعواهم، وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم [ومأمنهم]، ولما بلغ خبر قتله أخاه معد يكر^(٣)، وهو غلفاء، قال يرثيه:

إن جنبي عن الفراش لنابي^(٤) كتجافي الأسر^(٢) فوق الظراب
من حديثي نمتي إليّ فما تر قأ عيني ولا أسيغ شرابي
[مرة كالذعاف أكتمها الند اس على حزملة كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأثر ماح من بعد لذة وشباب]
يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تد عو تميمياً وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى يببلغ الرحب أو تبز ثيابي
أحسننت وائلٌ وعادتها الإحد سان بالحبو يوم ضرب الرقاب

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٧٤/١)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢١٦/١، ٢١٧)، (٢٢٥/١)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٨٢/٩)، وذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (٣٠٤)، (٤٢٧)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢٢٣، ٢٢٢/٥)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/١٥)، (٤٠٧، ٤٠٦).

(٢) الأسر: داء في سرّة البعير إذا برّك تجافى.

(١) في المخطوطة: له.

(٣) في المخطوطة: بن بكر.

(٤) في المخطوطة: كباب.

(2-2) في المخطوطة: بكر وتميم.

يوم فرت بنو تميم وولت خيلهم يتقين^(١) بالأذنان^(١) / ج ١٣
ط/٣٣٣
وهي طويلة، ثم إن تغلب أخرجوا سلمة من بينهم، فلجأ إلى بكر بن وائل وانضم إليهم، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمي.

الكلاب: بضم الكاف، أسيد: بن عمرو: بضم الهمزة، وفتح السين المهملة، وتشديد الياء المثناة من تحت، وذو السنين: بضم السين المهملة، تصغير سن، والرباب: ^(٢)بكسر الراء^(٢)، وتخفيف الباء الأولى [الموحدة].

يوم أواره الأول

وهو يوم كان بين المنذر [بن] امرئ القيس وبين بكر بن وائل، وكان سببه: أن تغلب لما أخرجت سلمة بن الحارث عنها^(٣) التجأ إلى بكر بن وائل، كما ذكرناه آنفاً، فلما صار عند بكر أذعنت له وشحدت عليه، وقالوا: لا يملكنا^(٤) غيرك، فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك، فحلف المنذر ليسيرون إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أواره، حتى يبلغ الدم الحضيض، وسار إليهم في جموعه، فالتقوا بأواره فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي، فأمر المنذر بقتله، فقتل؛ وقتل في المعركة بشرٌ كثير، وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة، فأمر بهم فذبحوا على جبل أواره، فجعل الدم يجمد. فقيل له: أبيت اللعن، لو ذبحت كل بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض! ولكن [لو] صببت عليه الماء! ففعل، فسال الدم إلى الحضيض، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار^(٢).

وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر، فكلمه في سبي بكر بن وائل، فأطلقهن المنذر، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسي إلى المنذر في بكر:

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه على فاقة وللملوك هباتها
سبايا بني شيبان يوم أواره على النار إذ تجلى به فتياتها^(٣) / ج ١٣
ط/٣٣٤

(١) ذكره يعقوبي في «تاريخه» (٢١٧/١).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٨٧/٢٢)، .

(٣) أنظر «المفصل في تاريخ العرب» (٢٢٧/٣)، و «أيام العرب» (٩٩).

(١) في المخطوطة: منسوب. (3) في المخطوطة: و.

(2-2) في المخطوطة: بالكسر. (4) في المخطوطة: يهلكنا.